أبو عبد الله مَحمد ميارة الفاسي وجهوده الفكرية

د. رشيد بكاري(•)

الحمد لله قيوم الأرض والسماء، خالق الأشياء كيف يشاء له العزة والكبرياء، نشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو جعل العلماء ورثة للأنبياء، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله سيد الفقهاء، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه النبهاء النبلاء وبعد:

لا يمكننا الحديث عن الفقه وفقهاء المالكية في القرن الحادي عشر الهجري في الغرب الإسلامي، وعن علماء القرويين خاصة دون الحديث عن علم من الأعلام البارزين في هذا المجال، وعالم من العلماء الأبطال، الذين رسموا أسماءهم على صفحات التاريخ الفكري والثقافي للمغرب الأقصى ألا وهو الفقيه النبيه أبو عبد الله مَحمد بن أحمد بن مُحمد ميارة الذي طارت شهرته في الأقطار، وسارت كتبه في سائر الأمصار، فاشتهر في الأوساط العلمية أيما اشتهار.

وأرى من الضروري جدا أن أقدم في البداية بطاقة تعريف، وجزءا من ترجمة هذا العالم الهمام حتى تتكون للمستمع الكريم صورة مكتملة في مخيلته،راسخة في ذهنه، لا تمحوها العواصف الهوجاء، ولا تزيلها الجهالة العمياء، لأنه يقبح بنا الجهل بعلمائنا الذين هم آباؤنا في الدين، ووصلة بيننا و بين رب العالمين.

وسأحاول التطرق إلى ترجمة الشيخ ميارة والحديث عن حياته ومؤلفاته ضمن المحاور التالية:

المحور الأول: مولده و نسبه.

(•) جامعة القرويين، فاس.

المحور الثاني: شيوخه و تلاميذه.

المحور الثالث: مؤلفاته (جهوده الفكرية).

المحور الرابع: صفاته و آراء العلماء فيه.

المحور الخامس: وفاته وما قيل في رثائه.

✓ المبحث الأول: مولده ونسبه

هو أبو عبد الله مَحَمَّد ـ فتحا ـ بن أحمد بن مُحمد ـ ضمّا ـ المدعو ميارة كرجالة، الفاسي أصلا ومنشأ ودارا ومزارا، ولد ببلدة فاس في الخامس عشر من رمضان الأبرك سنة (999 هـ)، الموافق لسابع يوليوز من سنة: 1591م[1].

(1) ابتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجدوب لعبد القادر الفاسي، ت: 1096 هـ، (ص194). مخ رقم: 326 ك، الخزانة العامة بالرباط (خ ع ر).

ـ الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر، لعبد الله بن محمد الفاسي، ت: 1131 هـ، ورقة: 79 ـ ب، مخ رقم: 3637، الخزانة الحسنية بالرباط (خ ح ر).

ـ صفوة من انتشر للإفراني (140)، طح ـ نشر المثاني (2/ 120) ـ التقاط الدرر للقادري (133).

ـ الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج لمحمد بن الطيب القادري(ص193)، مخ رقم: 1897 خ ع ر.

ـ طبقات الحضيكي، لمحمد بن أحمد السوسي، ت: 1189 هـ، 105 ـ ب، مخ رقم: 1124 د، خ ع ر.

أو في النسخة المطبوعة (1/ 309) بتحقيق:أحمد بومزكو، ط/ 1، 1427هـ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء.

ـ أزهار البستان في طبقات الأعيان، لأحمد بن محمد الحسني بن عجيبة، ت: 1224 هـ، (ص253 و254)، مخ رقم: 11481 ر، خ ح ر.

ـ سلوة الأنفاس (1/ 167) ـ شجرة النور الزكية (309) ـ الأعلام للزركلي (6/ 238).

ـ دليل مؤرخ المغرب الأقصى (1/ 80)، دار الكتاب الدار البيضاء، ط/ 2، 1960م.

ـ الاستقصا للناصري: (6/ 85، 96).

ـ معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة (3/ 106). مؤسسة الرسالة، ط/ 1: 1414 هـ.

ـ الحركة الفكرية في عهد السعديين (2/ 371).

ـ جامع القرويين لعبد الهادي التازي (3/ 791)، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط/ 1، 1972م.

ـ تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان: القسم (7/ 538)، والقسم (9/ 507). الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995م.

ـ مؤرخوا الشرفاء لليفي بروفنسال (182)، دار المغرب للتأليف والترجمة الرباط، 1397 هـ

ـ المصادر العربية لتاريخ المغرب، للمنوني (1/ 148)، منشورات كلية الآداب الرباط 1404 هـ

ـ الزاوية الدلائية (221).

ـ النبوغ المغربي لعبد الله كنون (249)، ط/ 2، عارية عن معلومات النشر.

ولقد عرف ميارة بنفسه أول كتابه الدر الثمين، حيث قال: (فيقول أحوج الخلق إلى مولاه، وأقل العبيد، محَمد بن أحمد بن مُحمد الشهير بميارة ....)[1].

كما عرف بنفسه في تكميله للمنهج المنتخب المسمى: بستان فكر المهج شرح وتكميل المنهج، قال:

«ومحَمّد بن أحمد: اسم الناظم ووالده، وسمى نفسه لأن معرفة مؤلف الكتاب من مهمات الأمور كما نص عليه، وميارة بالرفع: بدل أو عطف بيان لمحمد،وهو هنا لقب، وفي الأصل جمع مائر،اسم فاعل من مار أهله يميرهم: إذا حمل إليهم قوتهم من غير بلده، يقال مائر وميارة كراجل ورجالة، قاله الجوهري ». اهـ[2].

فهذا التعريف هو أوثق من غيره، لأنه عرف بنفسه وبأبيه حتى لا يقع الالتباس مع غيره، وعرف بنفسه في غير هذا الكتاب كما هي عادته في التأليف [3].

كما بين ميارة رَحِمَهُ ٱللَّهُ اسمه واسم أبيه وجده، وكونهم من أهل فاس في كثير من أنظامه وأبياته، ومثال ذلك ما افتتح به نظمه الذي كمل به المنهج المنتخب،حيث يقول:

قال محمد هو ابن أحمدا   ميارة بذاك يدعى أبدا
الفاسي أصلا منشأ وسكنى   ويرتجي الختم بها بالحسنى [4]

---

(1) الدر الثمين (1). الدر الثمين والمورد المعين في شرح المرشد المعين، لمحمد ميارة، مطبعة التقدم العلمية ط/ 1 سنة: 1323 هـ.

(2) بستان فكر المهج شرح وتكميل المنهج: (1/ 1)، طح.

(3) يراجع: الدر الثمين (1). و شرح ميارة على التحفة: (1/ 1).
نصيحة المغترين في الرد على ذوي التفرقة بين المسلمين (ص 60) بتحقيق الأستاذتين مينة المغاري وحفيظة الدازي، الطبعة الأولى، 2007 دار أبي رقراق الرباط.

(4) بستان فكر المهج في تكميل المنهج (1/ 1)، طح.

وعرف به غير واحد من الفقهاء والعلماء ممن عاصروه، أو ممن تتلمذوا على يديه ومنهم: سيدي جعفر بن إدريس الكتاني في شرحه على خطبة ميارة على المرشد المعين حيث يقول:

«مَحَمّد بفتح الميم علم على الشارح ...» إلى أن قال: « و «مُحَمد»: علم لجده « الفاسي» منسوب إلى فاس بالرفع صفة لَمحمد، ويجوز جره صفة لأحمد أو مُحمد، بناء على أنهما كانا فاسيين «أصلا ودارا ومنشأ» أي: أنه فاسي من جهة هذه الثلاثة، فأصوله وآباؤه منها، وداره وولادته بها أيضا، الشهير» بميارة «، وفي القاموس: الميارة كرجالة، جالب الميرة وفيه - أي القاموس - والميرة بالكسر: الطعام، فلعل بعض أجداده كان يجلب الطعام من غير فاس إليها، فقيل له ميارة، وانسحب ذلك على عقبه». اهـ [(1)].

كما بين ذلك صاحب السلوة بقوله: «... مالك زمانه، وفريد عصره وأوانه، أبو عبدالله سيدي مَحمد فتحا بن أحمد بن مُحمد المدعو ميارة كرجالة الفاسي أصلا ومنشأ ومزارا...»[(2)].

وأما كناه فهي متعددة، فمنها: أبو عبد الله، وأبو الضياء،وأما ألقابه فكل من العلماء أومن المترجمين له لقبه بما رآه مناسبا لقدره وقيمته، فمنهم من يلقبه: بميارة الأكبر، وكذلك: بمالك الأصغر، أو مالك زمانه، ومنه ما ذكره القادري في التقاط الدرر حيث قال: توفي مالك زمانه أبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة [(3)].

و لم تذكر كتب التراجم التي وقفت عليها شيئا عن عائلة أبي عبد الله مَحمد ميارة، فلم أجد ترجمة لأبيه أحمد، ولا لجده مُحمد، إلا ما ذكر أنهما كانا من أهل فاس، وهذا مما يدل على أنهما لم يكونا من أوساط علمية، ولا من أسرة ذات مناصب سلطوية .

(1)) شرح جعفر بن إدريس الكتاني على خطبة ميارة على المرشد (35) . (طح)
(2)) سلوة الأنفاس (1/ 165) .
(3)) التقاط الدرر (151).

كما أن المصادر التي وقفت عليها لم تذكر شيئا عن أمه، لا من حيث اسمها ولا نسبها، ولا من هم أهلها إذ قد يكون أهل أمه من الأوساط العلمية، ولكن لا بصيص يدل على ذلك، ويستخلص من هذا كله، أن أبا عبد الله محمد ميارة، كان من أسرة بسيطة شعبية لا جاه لها ولا مال ولا سلطان، ومما يزيد ذلك بيانا أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما يقول غير واحد من المترجمين أنه كان موصوفا بالتقشف، ومن كانت هذه صفته فغالبا ما يكون متواضع الحال، خاصة وأنه كان يتقوت من حلي من لباس النساء يكريه في الأعراس، دون أن يتولى خطة شرعية أو سلطوية، رغم ما كان له من وثيق الصلة بالمجاهد العياشي أيام حكمه لبلاد الغرب، ثم بالدلائيين عندما انبسط نفوذهم على هذه المنطقة[1].

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الفقيه مَحمد ميارة كان من ضحايا التعصب الذي اختصت به أرستقراطية مدينة فاس تجاه من تسميهم بالمهاجرين ـ وهم حديثوا العهد بالإسلام ـ على سبيل اللمز والتعيير والتشهير، وشاع ذلك بين التجار وامتد حتى لأوساط العلم، فالعلماء الذين عرف أن أصلهم يهودي ولو تعدد أجدادهم المسلمون لا يولون المناصب الشرعية السامية كالقضاء والفتيا والإمامة والخطابة مهما علا كعبهم في ميدان العلم والمعرفة، ومنهم رضوان الجنوي وأحمد المنجور ومَحمد ميارة[2].

وأما عن أبنائه وحفدته فكتب التاريخ التي بحثت فيها لم تتعرض إلى زواج الشيخ ميارة، ولا إلى عدد أبنائه، ولا عن شيء من حياته الشخصية، إلا ما ذكر عن حفيده أبي عبد الله مُحمد بن محمد بن مَحمد، ولولا أن هذا الأخير كان من طلبة العلم، وممن ساروا على نهج جده، وممن قام بجمع وترتيب وإخراج مؤلف من مؤلفاته، لما كان له ذكر في كتب التاريخ إلا ما جاء في إشارة للشيخ ميارة نفسه، مشيرا في آخر نظمه لمواضيع مختصر خليل، وذلك صلب كتابه زبدة الأوطاب، حيث قال:

---

(1) يراجع: الحركة الفكرية في عهد السعديين (1/ 122).
(2) الحركة الفكرية (1/ 274).

محمــــد عبـــد الله نجـــل لأحمـــدا ميــــارة يـــدعى أرب فــــاقبلا
عليـــه بغفـــران مـــن أول وهلـــة وصــفح وعفــو يــا كــريم تفـضلا
كـذا والـداه مـع شـيوخ لـه مـضت وولــــدان وأصـــلح و كمــــلا

فلفظ ولدان مع عدم الشكل يحتمل الفتح (وَلَدَان) فيفيد التثنية، أو الكسر (ولْـدَان) فيفيد المتعدد، والابن الوحيد المعروف هو ابنه مُحمد، والد الحفيد المذكور، لا غير.

إلا أنني عثرت في خزانة القرويين، على نسخة [1] من كتاب الـدر الثمـين، وفيهـا أن ناسخها هو: نجل المؤلف، أحمد بن مَحمد بن أحمد ميارة.

كما تبين لي أن الفقيه مَحمد بن قاسم بن محمد جـسوس هـو حفيـده مـن ابنتـه وهـو شارح تصوف ابن عاشر. و في ذلك يقول هذا الأخير: «هـذا تقييـد كالتكميـل لـشرح الكتاب الثالث من المرشد المعين المسمى بالدر الثمين الذي كان وضعه الجد للأم الإمام الهمام مفتي الأنام حجة الإسلام أبو عبـد الله سـيدي محمـد بـن أحمـد ميـارة جعـل الله سبحانه الفردوس الأعلى مسكنه و قراره ..» [2].

(1)) هذه النسخة تحمل رقم: 1871، خ ق ف .

(2)) شرح محمد بن قاسم جسوس لتصوف ابن عاشر (2) الطبعة الحجرية .

✓ المحور الثاني: شيوخه وتلاميذه

الفرع الأول: شيوخه

لقد تتلمذ الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة على شيوخ جِلّة ممن كان لهم الأثر البالغ في تكوين هذه الشخصية الفذة، والتي ظهرت عليها أمارات النبوغ والعلم والاجتهاد، حتى أصبح يسمى بمالك عصره وأوانه، وقد ذكر هو نفسه في كثير من الأحيان في مؤلفاته عددا من شيوخه، كما بين مروياته عليهم ومقروؤاته، فيقول على سبيل المثال: شيخنا الفقيه ... كذا .

كما أنه أفرد جانبا من كتابه: نظم اللآلئ والدرر في اختصار مقدمة ابن حجر، لذكر شيوخه و مروياته عنهم، و ترجم لبعضهم في شرحه للمرشد المعين، و يذكر الأستاذ محمد حجي أن الشيخ ميارة كان من رواد الزاوية الدلائية فتتلمذ على شيوخها و درس بها[1] ومن شيوخه المشهورين:

1 ـ الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي العافية الشهير بابن القاضي: (960 هـ / ت: 1025 هـ)[2]

صاحب درة الحجال في أسماء الرجال، وجذوة الاقتباس، عرف به ميارة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه للامية، فقال:ولقد نظم هذه النظائر شيخنا العلامة المحدث الفرضي الأبر ذو الخلق الحسن، والفضل والكرم سيدي أحمد بن القاضي [3].

---

(1) الزاوية الدلائية ودورها الديني و العلمي و السياسي: محمد حجي، (ص 97 . المطبعة الوطنية بالرباط 1964م

(2) ترجمته في: صفوة من انتشر(77)، نشر المثاني: (1/ 213)، التقاط الدرر(69)، شجرة النور(297) .

(3) فتح العليم الخلاق في شرح لامية الزقاق (318) بتحقيق الدكتور رشيد البكاري، الطبعة الأولى 1429هـ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء .

وقال عنه في وفياته:

إمام الحساب والفرائض قد مضى   بعيد قريبا نجل قاض معدل

2 ـ أبو القاسم بن محمد بن أبي النعيم الغساني الأندلسي(962 هـ/ ت: 1032هـ).

قاضي الجماعة بفاس، وخطيب حضرتها ومفتيها، أبو الفضل قاسم بن محمد بن أبي النعيم الغساني [1]، عرف به ميارة فقال: «ومنهم شيخنا القاضي أبو النعيم، فقد كان إماما عالما متفننا، له باع كبير في علم البيان وعلم الكلام، ... وكان رَحِمَهُ اللَّهُ فظا غليظا يقمع أهل الفساد، ويفضحهم على رؤوس الأشهاد، و يسبهم بالآباء والأجداد، فتوسموا أنه يريد كسر شوكتهم، وانقراض دولتهم، بقطع هامتهم، فتمالئوا على قتله، مجازاة له على فعله، فقتلوه بطالعة فاس إثر رجوعه من صلاته بالسلطان صلاة الجمعة خامس القعدة الحرام من عام اثنين وثلاثين وألف عام). اهـ [2].

3 ـ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد القصري الفاسي، (972 هـ/ ت: 1036هـ)

عرف به ميارة في شرحه للمرشد المعين، عند قول الناظم: يجب للرسل الكرام الصدق، فقال: «شيخنا هذا كان إماما عالما متفننا دراكة، شهد له بذلك شيوخه لم يتعاط قط أسباب الدنيا، له معرفة بالنحو واللغة والفقه والأصول والمنطق والبيان وعلم الكلام كذلك، وأما التفسير والحديث والتصوف المؤيد بالكتاب والسنة، فلا يجارى في ذلك أصلا يستحضر ذلك بلا تأمل، تصحح من فيه نسخ البخاري ومسلم، يستحضر جل مسائل مشارق عياض على الصحيحين والموطأ، ومعارضات الأحاديث وأجوبتها، ما قيل فيها من صحيح وسقيم، له حاشية دلائل الخيرات، وله حاشية

(1) ترجمته في: صفوة من انتشر(74)، نشر المثاني (1/ 254)، التقاط الدرر (80)، سلوة الأنفاس (2/ 104).

(2) نظم اللآلي والدرر (336) .

عجيبة على صحيح البخاري، وله حاشية عجيبة على تفسير الجلالين، وحاشية على العقيدة الصغرى للشيخ السنوسي، وله تعليق عجيب على الحزب الكبير للشاذلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وله تقاييد كثيرة في التفسير والحديث والتوحيد وغير ذلك، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ آخر ليلة الأربعاء السابع والعشرين من ربيع النبوي من عام ستة وثلاثين وألف، وإلى سنة وفاته رمز صاحبنا الأديب الشهير سيدي محمد المكلاتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بالشين واللام والواو من قوله:

أبو زيد الفاسي شلو معظم   رثاه حديث المصطفى خير مرسل اهـ[1]

4 ـ أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الدكالي، ت: 1036 هـ

عرف ميارة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بشيخه هذا كذلك في نظم اللآلئ والدرر، فقال عنه:

«ومنهم شيخنا الإمام العالم الهمام، القدوة البركة قاضي الجماعة بفاس ومفتيها وخطيبها، نجل الأئمة الكرام، الصلحاء الأعلام، أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الدكالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، سمعت عليه صحيح الإمام البخاري من أوله إلى آخره، إلا مجالس قليلة .... كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ عالما متفننا ذا أهبة وهيئة حسنة له ولوع بالتصوف وحكايات الصالحين، وله ممارسة كبيرة بحكم ابن عطاء الله، قرأت عليه منها جملة وافرة، وله ممارسة بشرحها لابن عباد، والشيخ زروق، وكان يقرر رسالة ابن أبي زيد تقريرا حسنا، وألفية ابن مالك، وغير ذلك توفي رحمه الله، ونفع به في أوائل القعدة من عام ست وثلاثين وألف، وإلى سنة وفاته أشرت بالشين واللام والواو من قولنا في جملة أبيات:

وإن ابن إبراهيم شلو معظم   ونجل السادات تصوفه جل. اهـ[2]

(1) الدر الثمين (34) .
(2) نظم اللآلي والدرر (336 ـ 337) .

5 ـ القاضي أبو الحسن علي بن قاسم البطوئي، (967هـ/ ت: 1039هـ) [1]

قال عنه ميارة نفسه في شرحه للمرشد المعين: «وشيخنا هذا صاحب الترجمة، كان إماما عالما محققا متفننا زاهدا ورعا، مولعا بالخلوة للذكر والمطالعة والتقييد، تاركا للأسباب، ملازما لبيته منعزلا عن الناس، نسخ بخطه كتبا عديدة ..... وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى حسن النية، ذا خلق حسن وعلم وحياء، ينتفع به في القراءة في الأيام اليسيرة، ما لا ينتفع بالقراءة على غيره في أضعاف ذلك، مع سهولة تعبيره وعدم تكلفه، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليلة الجمعة ثامن وعشرين ربيع الثاني سنة تسع وثلاثين وألف (1039 هـ)

وإلى وفاته أشرت بلفظ كشيط، مع التنبيه على بعض أحواله في قولنا في جملة أبيات من هذا المعنى:

أبو الحسن البطوئي مازال متقنا لعلم وألقاه كشيط بمعزل اهـ[2]

6 ـ عبد الواحد بن أحمد بن عاشر / ت: 1040 هـ.[3]

ولقد عرف به ميارة كذلك في الدر الثمين فقال:

«هو شيخنا المتفنن الحاج الأبر المجاهد، سيدي أبو محمد عبد الواحد بن أحمد ابن علي بن عاشر الأنصاري نسبا، الأندلسي أصلا، الفاسي منشأ ودارا، كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ عالما عاملا، ورعا عابدا متفننا في علوم شتى..... وكان الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عارفا بالقراءات وتوجيهها، وبالنحو والتفسير والإعراب والرسم والضبط..، وبعلم الأصول والفقه

---

(1) ترجمته في: صفوة من انتشر: 95، نشر المثاني: (1/ 280)، التقاط الدرر للقادري (90)، شجرة النور(299)

(2) الدر الثمين (89)، عند شرحه قول الناظم: فصل فرائض الوضوء .

(3) ترجمته في: صفوة من انتشر (59)، نشر المثاني (1/ 283)، التقاط الدرر (91)، سلوة الأنفاس (2/ 274)، شجرة النور(300)

والتوقيت والتعديل والحساب والفرائض وعلم المنطق والعروض والطب وغيره، له مؤلفات منها نظمه هذا، ومنها شرحه العجيب على موارد الظمآن في علم رسم القرآن وأدرج فيه تأليفا آخر سماه: الإعلان بتكميل مورد الظمآن في كيفية رسم قراءة غير نافع من بقية السبعة وشرحا عجيبا على مختصر خليل، ورسالة عجيبة في الربع المجيب، وله تقاييد على العقيدة الكبرى للإمام السنوسي.

أصيب بالداء المسمى على لسان العامة بالنقطة ضحى يوم الخميس ثالث ذي الحجة الحرام من عام أربعين وألف، وإلى سنة وفاته أشرت بالشين والميم بحساب الجمل في قولنا في جملة أبيات في تواريخ جملة من شيوخنا والإشارة إلى بعض صفاتهم:

وعاشر المبرور غزوا وحجة إمام التقى والعلم شم قرنفل. اهـ[1]

كما عرف به في نظم اللآلئ والدرر كذلك.

7 ـ **أبو العباس أحمد بن محمد المقري، شهاب الدين**، نزيل فاس. صاحب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ت: 1041هـ[2].

ترجم له ميارة كذلك في الدر الثمين، عند قول الناظم: وقول لا إله إلا الله، قال: «شيخنا هذا كان إماما عالما متفننا حافظا للفقه والنوازل غاية الحفظ والفهم، وفصاحة اللسان، به ولوع بالأدب وطريقته، ولي الفتوى والخطابة والإمامة بجامع القرويين وذلك في جمادى الأولى عام: 1024 هـ، فحج واستوطن، وألف تآليف منها:

حاشية مفيدة على مختصر خليل، ومنها كتاب في التعريف بالقاضي عياض، ومنها نظم مفيد في علم الجدول، ومنها هذه المنظومة في العقائد (إضاءة الدجنة)، ...

---

(1) الدر الثمين (3 ـ 4 ـ 5).

(2) ترجمته في: صفوة من انتشر(72)، نشر المثاني (1/ 292 ـ 293)، التقاط الدرر(94)، شجرة النور (300).

ولشيخنا المذكور، مقطعات في الأدب وغير ذلك، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمصر منتصف رجب أو شعبان، سنة 1041 هـ)[1].

كما عرف به أول كتابه نظم اللآلئ والدرر، وإلى وفاته أشار بقوله:

وجامع أشتات العلوم بأسرها وذا أحمد المقري شام لمنزل[2]

8 ـ أبو عبد الله سيدي محمد بن أبي بكر الصنهاجي الدلائي، ت: 1046 هـ

وكانت له زاوية عظيمة لم يعهد مثلها في البلاد المغربية منذ أزمان، أخذ عنه كل من الشيخ ميارة، وأبو العباس المقري، وابن عاشر والبوعناني وغيرهم، توفي عام: 1046 هـ، ودفن بالدلاء قرب روضة والده[3].

وإليه أشار ميارة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله في وفيات شيوخه[4]:

وشوم انقطاع لليد أورع معا بنجل أبي بكر وسوسي مبجل

9) أبو عبد الله محمد بن محمد البوعناني الشريف الحسني، ت: 1063 هـ[5]

وهو شيخ الجماعة في العلوم القرآنية، أبو عبد الله محمد بن الفقيه أبي عبد الله سيدي محمد بن الفقيه أبي الربيع سليمان بن منصور الحسني الإدريسي البوعناني، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ مشاركا في العلوم، مستحضرا لأحاديث الصحيحين، انتفع به الطلبة، وكثر الآخذون عنه، كالشيخ ميارة الأكبر وأبي سالم العياشي.

ولقد ذكره ميارة في فهرسته المذكورة، عند التعريف بشيخه أبي العباس أحمد بن محمد المقري، وبالضبط عند الكلام على دراسته لصحيح البخاري، حيث قال عنه:

---

(1) الدر الثمين (42).

(2) نظم اللآلئ والدرر (334 ـ 335).

(3) صفوة من انتشر (67 ـ 68).

(4) وفيات ميارة: مخ رقم: 2674 د، خ ع ر.

(5) صفوة من انتشر (162)، نشر المثاني (2/ 65)، التقاط الدرر (133)، سلوة الأنفاس (1/ 199).

«وذلك كله بقراءة الإمام العالم العلامة الحافظ المتفنن المحدث الراوية، الأستاذ المحقق أبي عبد الله سيدي محمد بن محمد البوعناني الشريف الحسني، أبقى الله بركته وعظم حرمته آمين»[1].

10 ـ **والفقيه أحمد بن علي بن محمد البوسعيدي الهشتوكي السوسي، المتوفى سنة 1046هـ** وهو المشار إليه في وفياته بلفظ: وسوسي مبجل. ومنهم محمد المكلاتي المعروف بالكبير كذلك.

فشيوخ ميارة لا ينحصرون في هؤلاء، بل يوجد غيرهم،وإنما هؤلاء هم البارزون في حياته، والعاملون الرئيسيون في تكوين شخصيته، حتى أصبح أشهر من نار القرى ليلا على علم، وهنا تبرز أهمية أصالته التي هي من محاور هذه الندوة المباركة، كما ستظهر أهمية هذا التكوين العلمي، في تلاميذه ومؤلفاته وهي المعبر عنها في ندوتنا هذه بالامتداد.

الفرع الثاني: تلاميذه

لقد تتلمذ على يد الشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد ميارة خلق كثير، وجم غفير من الطلبة، الذين سارت بهم الركبان من بعده، وكانوا من ورثة سره وعلمه، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

ـ **أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي السجلماسي** المتوفى سنة: 1090هـ[2]

فقد حضر دروسه، وسمع من لفظه شرحه الصغير على المرشد المعين، بأكمله وحظي بإجازة عامة منه[3]، فقال أبو سالم في ذلك:

---

(1) نظم اللآلئ والدرر (334 ـ 335).

(2) صفوة من انتشر (191)، نشر المثاني (2/ 254)، التقاط الدرر (212)، مؤرخوا الشرفاء (185).

(3) اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر لأبي سالم العياشي (36)، تحقيق: نفيسة الذهبي، منشورات كلية الآداب الرباط، ط/ 1، 1996م.

«الرابع: العلامة الدراكة الفهامة، الفقيه المتفنن، ومن التتلمذ له على كل طالب متعين، سيدي مَحمد بن أحمد ميارة، وهو مشارك للشيخين اللذين قبله ـ الشيخ عبد القادر بن علي الفاسي، والشيخ أحمد بن موسى الأبار ـ، في كثير من أشياخهما، أجاز لي سائر مروياته، وكتب لي ذلك بخطه سمعت عليه جملة من كتب الفقه، وسمعت من لفظه شرحه الصغير على المرشد المعين بأجمعه، وكثيرا من شرحه على لامية الزقاق، وغير ذلك من مروياته[1].

ـ ومنهم: **أبو محمد عبد الله بن سيدي محمد العياشي الزياتي المالكي**، ت: 1073هـ[2]

كان فقيها متضلعا في علم الحديث أخذ عن أبيه وابن عاشر وميارة، وأبي زيد وأجازوه بالإجازة العامة، له أرجوزة نظم فيها أهل بدر، وله أمداح في شيخه ابن عاشر حسبما ذكر بعضها الشيخ ميارة في شرح المرشد، توفي ليلة عرفة سنة: 1073 هـ.

ـ ومنهم: **أبو محمد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي**، الملقب بسيوطي زمانه ت: 1096هـ[3].

وهو صاحب نظم العمل الفاسي وشرحه، وأزهار البستان في مناقب الشيخ عبدالرحمن، أخذ عن والده وعمه، والشريف البوعناني، والقاضي ابن سودة، وميارة الأكبر[4].

ـ ومنهم: **أحمد بن محمد بن عيسى آدم**، ت: 1094هـ[5].

---

(1) اقتفاء الأثر (114 ـ 115).
(2) ترجمته في: صفوة من انتشر (160)، نشر المثاني (2/ 133)، التقاط الدرر (156).
(3) ذكر هؤلاء الثلاثة الأوائل، سيدي جعفر بن ادريس الكتاني في شرحه على خطبة ميارة على المرشد (33).
(4) صفوة من انتشر (201)، نشر المثاني (2/ 325)، التقاط الدرر (231)، شجرة النور (316).
(5) نشر المثاني (2/ 309)، التقاط الدرر (227).

الخطيب الشريف نزيل رباط الفتح من سلا، يروي عن شيوخ فاس كالشيخ ميارة، وحمدون الأبار.

- ومنهم: **أبو عبد الله محمد بن الحسن**، ت: 1107 هـ، الفاسي الفقيه المشارك لازم الشيخ ميارة، يقوم على مختصر خليل والرسالة[1].

- ومنهم: **الفقيه العلامة أبو الحسن علي بن منصور الزموري الشلح الفاسي** لازم الشيخ ميارة، وسمع عليه مختصر خليل، ت: 1107 هـ[2].

- ومنهم: **العلامة المدرس سيدي أحمد بن العربي المعروف بابن الحاج**، الفاسي ولادة ومنشأ، كان من العلماء العاملين، ت: 1109 هـ[3].

- ومنهم: **سيدي محمد بن الحسن الأبار**، ت: 1113 هـ[4].

كان فقيها فرضيا أخذ عن عمه سيدي حمدون الأبار، وعن الشيخ ميارة الأكبر، وعن أبي محمد سيدي عبد القادر الفاسي.

- ومنهم: **حفيده محمد بن محمد بن محمد ميارة المعروف بالأصغر**، ت: 1144هـ[5].

- ومنهم **محمد بن الحسن المجاصي** المغراوي، ت: 1103هـ[6].

ذكره في تلاميذ ميارة محمد مخلوف في شجرة النور الزكية[7].

---

(1) نشر المثاني (3/ 76)، التقاط(270)، سلوة الأنفاس (1/ 329).

(2) نشر المثاني (3/ 75)، التقاط الدرر(270)، سلوة الأنفاس (1/ 109).

(3) نشر المثاني (3/ 83)، التقاط الدرر: 273، سلوة الأنفاس (1/ 153).

(4) نشر المثاني (3/ 133)، التقاط الدرر (283)، سلوة الأنفاس (3/ 96).

(5) نشر المثاني (3/ 353، التقاط الدرر: 356، سلوة الأنفاس: 167، شجرة النور: 335.

(6) نشر المثاني (3/ 55)، التقاط الدرر للقادري: 262، إتحاف أعلام الناس (4/ 74). إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، لعبد الرحمن بن زيدان، ت: 1365 هـ، المطبعة الوطنية الرباط، الطبعة الثانية، 1410 هـ.

(7)) شجرة النور(309)، في ترجمة محمد ميارة.

✓ المحور الثالث: آثاره العلميـة

ألف الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة عددا مـن المؤلفـات المهمـة، في مختلـف العلوم الشرعية، والتي تنم عن شخصية علمية فـذة، فكـان منفـردا عـن أهـل عـصره بجودة التصنيف مع سلاسة العبارة، وجودة الإشارة، مع الاعتناء بالمطالعـة والتقييـد، والباع الطويل المديد، فجاءت كتبه خالية من التعقيد، في غاية الحسن والإفادة، فـأذعن له مصنفو عصره، ولهج به كثير من أهل مصره، وأقبل النـاس عـلى تآليفـه مـن فاضـل ومفضول، وتلقوا تقريراته كلها بالقبول، فعم نفعها في البلاد، وشاع فضلها بين العباد، ولا تزال حتى اليوم، وستبقى منبعا معينا فياضا، وماء عذبا زلالا، ينهل منه كل باحث ودارس كل بحسب اختصاصه وحاجته منه.

وبصفتي كموظف بمكتبة كلية الشريعة، لاحظت أن مؤلفاته تحظى بعناية فائقة من طرف الطلبة والباحثين والأساتذة، مع السؤال عن المفقـود منهـا والمخطـوط، خاصـة وأن كثيرا من العلماء المتأخرين نقلوا عنه في أمور كثيرة، ونوازل عديدة.

وتجدر الإشارة كذلك، إلى أن بعض كتبه، ومنها شرحاه للمرشـد المعـين، وشرحـه للامية الزقاق، وشرحه لتحفة الحكام، كانت ولا تزال من المقررات التي تدرس لطلبـة الكراسي العلمية بجامع القرويين العتيق، وأهـم مؤلفاتـه هـي كالتـالي، مرتبـة حـسب تاريخ تأليفها في حدود ما توصلت إليه .

1. وفيـــاة مـيارة:

لعـل أول ما ابتدأ ميارة بإنـشـائه هو نـظم وفـيـات شيوخه [1]، على منوال وفـيات

(1) أشار إليها عبد السلام بن سودة في كتابه: دليل مؤرخ المغرب الأقصى (2/ 407) وذكرها محمـد المنـوني في: المصادر العربية لتاريخ المغرب (1/ 148)، وذكر لها نسخة في الخزانة الملكية، 3139 ز.

الونشريسي، والمكلاتي الكبير(1)، والمكلاتي الصغير(2)، وزنا ورويا وأسلوبا وهي سبعة أبيات كمل بها سابقاتها(3)، والأبيات هي كالآتي:

وإن ابن إبراهيم شلو معظم ... وسبط للسادات تصوفه جيل
أبو الحسن البطوئي ما زال متقنا ... لعلم وألفاه **كشيط** بمعزل
وعاشر المبرور غزوا وحجة ... إمام التقى والعلم **شم** قرنفل
إمام الحساب والفرائض قد **مضى** ... بعيد قريبا نجل قاض معدل
محمد المكلاتي ماش ولفظه ... بنظم ونثر كالرحيق المسلسل
وجامع أشتات العلوم بأسرها ... وهو أحمد المقري **شام** بمحفل
وشوم انقطاع لليد أورع معا ... بنجل لأبي بكر وسوسي مبجل

ورمز ب: شلو لسنة: 1036، وبكشيط لسنة: 1039 وبشم لسنة: 1040 ومضى لسنة 1025 وبماش وشام لسنة: 1041 وبشوم لسنة: 1046. وهو المعروف بحساب الجمل.

2 ـ الدر الثمين والمورد المعين في شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين:

ألف محمد بن أحمد ميارة هذا الكتاب عام 1044هـ، وهو شرحه الكبير على أرجوزة شيخه عبد الواحد بن عاشر، وهي أرجوزة بسط فيها عقيدة الأشعري وفقه الإمام مالك، وطريقة الصوفية للجنيد، وهي مما كان يحفظه الخاص والعام.

---

(1) محمد بن أحمد بن محمد المكلاتي الفاسي، المعروف بالكبير، ت: 1041 هـ. نشر المثاني (1/ 305)، المصادر العربية لتاريخ المغرب (1/ 148).

(2) محمد بن حمدون الفاسي، المعروف بالمكلاتي الصغير، (ت 1056 هـ). نشر المثاني (2/ 32)، المصادر العربية (1/ 148).

(3) وهي مخطوطة بالخزانة العامة ضمن مجموع تحت رقم: 2674 د. وتوجد كذلك بذيل وفيات المكلاتي مخطوطة بالخزانة الملكية تحت رقم: 3139 ز.

3 ـ نزهة الأنفاس في كراء حلي الأعراس على العادة بفاس:

أشار ميارة رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى هذا العنوان صدر كتابه الدر الثمين عند قول ابن عاشر:

و كالصلاة الغسل دفن وكفن .... البيت

حيث قال: «وسنزيد المسألة بيانا إن شاء الله في نزهة الأنفاس في كراء حلي الأعراس على العادة بفاس» ولكن لم أجد لهذا العنوان وجودا عند المترجمين ولا في فهارس الخزانات مع العلم أن هذه كانت حرفة له يتقوت منها كما ذكر غير واحد من المترجمين ولا شك أنه أصل لهذه المسألة و أبدى فيها أقوال العلماء و تعالى الله أعلم بالصواب .

4 ـ مختصر الدر الثمين/ 1048هـ:

بعدما فرغ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من تأليف كتابه الآنف الذكر، وأدرك أنه لا يستطيع قراءته وفهمه إلا ذووا الاختصاص من الفقهاء والعلماء، قام باختصاره في كتاب آخر ليكون في متناول المبتدئين من طلبة العلم، وأصبح يعرف هذا الأخير بالشرح الصغير، وذلك مقابلة بسابقه المعروف بالشرح الكبير، كما عرف عند الأوساط الطلابية بميارة الصغير، وفيه يقول بعد البسملة والحمد والثناء على الله، وبعد التعريف بنفسه قال:

«... قد كنت قبل بمدة وضعت على النظم المسمى بالمرشد المعين ... تأليف شيخنا... عبد الواحد بن عاشر... شرحا يحل ألفاظه.... فلما أكملته وخرجت من مبيضته، وجدته لطوله غير مناسب لمشروحه، ولا جارعلى طريقته، فهممت باختصاره واقتطاف أنواره، كي يناسب المشروح، وتغبطه من كل قارئ لأصله النفس والروح، فلم تزل مؤن الدهر عنه تصرفني، والأمل الغار يسوفني، حتى مَن ذو العظمة والجلال... بزيارة الولي الصالح ..أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد العياشي أبقى الله بركته.... مع جماعة من الأعيان من السادات الشرفاء والفقهاء والقادات، وذلك

أواسط الحجة الحرام متم سبعة وأربعين وألف عام، وهو بثغر سلا[1] فاجتمعت إذ ذاك بنجله.... سيدي وسندي أبي محمد عبد الله.... فحضني على اختصار الشرح المذكور بعد أن طالع جله وسر به كل السرور، وحث علي في تقديم ذلك على جميع الأمور، فلما قفلت من وجهتي، شرعت في ذلك تاركا التسويف، طالبا من المولى سبحانه السلامة من الخطأ والتحريف، مقتصرا فيه على حل الألفاظ، وبيان المعنى، محيلا على الشرح المذكور فيما يطول ذكره مما له تعلق بالمعنى....»[2].

وختمه مبينا تاريخ التأليف فقال: «هذا آخر ما قصدنا من هذا المختصر نفع الله به وبأصله، وجعلهما خالصين لوجهه بمنه وفضله آمين يارب العالمين، وكان الفراغ منه عشية الأربعاء، مكمل ثلاثين يوما من ذي الحجة الحرام من عام ثمانية وأربعين وألف عام، على يد مقيده لسائله منه عبد الله تعالى، محمد بن أحمد بن محمد ميارة كان الله للجميع بمنه وفضله آمين»[3].

ويتضح من التاريخين ـ أي تاريخ زيارته لسلا و تاريخ فراغه من الاختصار ـ أن هذا الاختصار استغرق من المؤلف سنة كاملة.

وأشار إلى هذا الاختصار أيضا في كتابه نظم اللآلئ والدرر، أثناء ترجمته لشيخه عبد الواحد ابن عاشر حيث قال: «... وله نظم عجيب في قواعد الإسلام ومبادي التصوف سماه المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، وقد كنت شرحته شرحا جليلا،

(1) تكاد تكون هذه هي الرحلة الوحيدة التي قام بها ميارة، لأنني لم أعثر في ترجمته على غيرها، ولست أدري هل كانت هذه الرحلة لطلب العلم، أم للزيارة فقط، ولهذا السبب لم أفرد أي مبحث أو مطلب للحديث عن رحلاته، إذ لم تتوفر لدي معلومات كافية عن ذلك.

(2) مختصر الدر الثمين (3 ـ 4)، بهامش حاشية الطالب بن الحاج، دار المعرفة الدار البيضاء ط/ 1، 418 هـ.

(3) مختصر الدر الثمين (568 ـ 569).

سميته الدر الثمين والمورد المعين في شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، وقد شرعت الآن في اختصاره، أعانني الله على إكماله»[1].

5 ـ نصيحة المغترين وكفاية المضطرين في الرد على ذوي التفرقة بين المسلمين بما لم ينزله رب العالمين، ولا جاء به الرسول الأمين ولا ثبت عن الخلفاء المهديين:

ألف محمد ميارة رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الكتاب الشهير حوالي سنة 1051هـ، وذلك عندما أخذ التجار الفاسيون يضايقون الإسلاميين: وهم حديثوا العهد بالإسلام آنذاك، ومنعوهم من الاتجار في الأسواق الكبرى خلال عهد الاضطراب الذي أعقب وفاة السلطان أحمد المنصور، ودخلت فاس تحت طاعة الدلائيين، أثيرت قضية الأسواق من جديد، هنا تزعم ميارة حركة مناهضة للاضطهاد والتفرقة، وحمل على المتعصبين من الذين احتقروا الإسلاميين ولمزوهم بالمهاجرين.

ولقد شرح المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنوان كتابه هذا بقوله:

ـ فالنصيحة والكفاية: ما اشتمل عليه الكتاب من العلم المستفاد من الكتاب والسنة وأقوال العلماء وفتاويهم.

ـ والمغترون: الذين فرقوا بين المسلمين وفضلوا بعضهم على بعض بغير ما أنزل الله اغترارا بالعوائد المخالفة للشريعة.

ـ والمضطرون: المحتاجون لمن يوقف حقهم ويبين أن لا نقص بالشريعة يلحقهم ولا إشكال في مناسبة بذل النصيحة للمغتر، ودفع الكفاية للمضطر.

وكتاب نصيحة المغترين هذا، ينبيء بخطورة الخلاف بين الخصوم في هذه المرحلة من حمل السلاح،وتحطيم الدكاكين ونهب البضائع،حتى التجأ الحاكم إلى الفقهاء

(1) نظم اللآلي والدرر (333 ـ 334).

يستفتيهم لكن معظمهم لاذ بالصمت ولم يجب عن المسألة، أو أجاب أجوبة مقتضبة لا تخلو من إبهام مما يدل على خوفهم، وهؤلاء ممن سماهم ميارة: همج العوام ممن يتفاخر بكونه ألد الخصام، وعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ على فتاوى المتقدمين ورسومهم في اثنين وثلاثين فصلا[1]، وقد اعتمد فيه على فتاوى وشهادات لعدد من الفقهاء المغاربة الذين كانت لهم خبرة بشؤون الدين، وبين أنه لا فرق بين عربي ولا عجمي إلا بالتقوى وأنه لا ينبغي للشرفاء أن يكون انتسابهم لرسول الله ﷺ سبيلا إلى تعاليهم واحتقارهم لغيرهم من الناس.

وقد قام بتحقيقه كل من الأستاذتين مينة المغاري و حفيظة الدازي وتم طبعه بدار أبي رقراق سنة 2007م.

6 ـ زبدة الأوطاب وشفاء العليل في اختصار الحطاب لمختصر الشيخ خليل: 1055 ـ 1056 هـ[2]:

ألف الشيخ ميارة رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الكتاب بتاريخ 10 ذي الحجة الحرام من عام 055 هـ، فشرح فيه خطبة خليل، وصدره بنظم له في تراجم مواضيع مختصر خليل نظمه قبل هذا التاريخ بقليل حسبما صرح به في صدر هذا المؤلف حيث قال:

«وقد كنت قبل اليوم نظمت تراجم هذا المختصر لتكون على ظهره برنامج تقرب مطالعته على غير المخالط له فقلت في ذلك:

بحمد إله العرش أبدأ أولا   يليه صلاتي مع سلامي مبجلا

---

(1) يراجع فيه: الحركة الفكرية في عهد السعديين (1/ 279 ـ 280).

(2) قال محمد حجي في كتابه الحركة الفكرية في عهد السعديين الصفحة (1/ 144): (ولمحمد ميارة حاشيتان على مختصر خليل، إحداهما عامة والأخرى على شرح الحطاب للمختصر، مخطوطات خزانة القرويين، رقم: 456 ـ 1158، وخ ع الرباط: 2313 د).

علـى خـير مبعـوث بخـير شريعـة ... وآلـه والأصـحاب طـرا ومـن تـلا
فهـاك بعـون الله نظـما مؤيـدا ... بتوفيـق وبـستر بالفـضل وللعـلا
يقـرب تفتيـشا وينـشر مجمـلا ... ويبـسط بـذلا منجزالوعـد مـع صـلا
وذلـك في ترتيـب أبـواب انجلـت ... لمختصرالـشيخ الهـمام عـلى الـولا
خليل بن إسـحاق إلى الجنـد ينتمـي ... فعنـه مـن المـولى الكـريم تفـضلا

إلى أن قال:

وصـية أيـضا مـع فـرائض كملـت ... وثـم صـلاة في الختـام وأولا
عـلى أحمـد المختـار تمـت بآلـه ... وأصـحابه والتـابعين ومـن تـلا
محمـد عبـد الله نجـل لأحمـدا ... ميـارة يـدعى أرب فـاقبلا
عليـه بغفـران مـن أول وهلـة ... وصـفح عفـو يـا كـريم تفـضلا
كـذا والـده مـع شـيوخ لـه مـضت ... وولـدان وأصـلح و كمـلا
بحـب لقـاء الله والمـوت تائبـا ... بـلا محنـة دنيـا وأخـرى مهلـلا
بجـاه جميـع المرسـلين والأنبيـا ... وخـاتمهم طـرا أرب تقـبلا

ولما فرغ من هذا الاختصار كتب عليه: من عانى جمعه واختصاره، والتقط درره واقتطف أنواره، عبيد الله تعالى محَمد بن أحمد بن محمد ميارة، سدد الله رأيه وأنظاره، وغفر ذنوبه وأوزاره، وذلك ضحى يوم السبت، عاشر ذي الحجة الحرام مـن عـام: خمس وخمسين وألف عام، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، ويتلوه في الثاني إن شاء الله كتاب الحج.

ويقع كتاب زبدة الأوطاب هذا في ثلاثة أسفار [1]، وهو ما أشار إليه جعفر بن إدريس الكتاني في شرحه لخطبة ميارة على المرشد، وذلك عند التعريف به، وبمؤلفاته قال: «واختصار شرح الحطاب عليه، المسمى بزبدة الأوطاب في اختصار الحطاب في ثلاثة أسفار» [2].

وفي ذلك يقول صاحب الطليحة:

واعتمدوا حاشية الحطاب ومنها جاءت زبدة الأوطاب [3]

وهذا الكتاب لا يزال مخطوطا حسب علمي، وهو مخطوط خزانة القرويين، تحت رقم: 1158، ميكروفيلم: 536، مسطرته: 25، عدد أوراقه: 303، مقياسه: 22 سم/ 16. على يد ناسخه عبد الله بن هارون، على خط المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذلك بتاريخ: 11 رمضان الأبرك من عام: 1087 هـ، وهو جزء ضخم بخط مغربي واضح يكثر فيه التصحيف، ينقصه من أوله ورقة أصاب أوراقه قليل من خرق السوس، ورؤوس مسائله بالأحمر، وهو من تحبيس مولاي عبد الله العلوي سنة: 1156هـ.

7 ـ بستان فكر المهج في تكميل المنهج: [4]

نظم الشيخ ميارة هذا النظم ذيلا للمنهج المنتخب إلى أصول المذهب، لعلي بن قاسم الزقاق، ذكر فيها بعض ما أغفله الزقاق، وزاد عليه أمورا فقهية أخرى، معتمدا في ذلك

(1) معلمة الفقه المالكي(143).

(2) شرح جعفر بن ادريس الكتاني لخطبة ميارة على المرشد (33). طح.

(3) يراجع: أصول الفتوى والقضاء في المذهب المالكي(597)، تعليق رقم: (483). أصول الفتوى والقضاء في المذهب المالكي، لمحمد رياض، مطبعة النجاح الجديدة، ط / 1، 1416 هـ/ 1996م.

(4) حقق هذه المنظومة الطالب أيوب زايري كرسالة لنيل شهادة الماستر من كلية الشريعة بفاس تحت إشراف الدكتور العلامة سيدي ادريس الفاسي الفهري .

على توضيح الشيخ خليل، وشرح المنهج المنتخب للمنجور، وذلك حسب ما بينه آخر نظمه هذا سنة 1059 هـ.

قال فيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال محمد هو ابن أحمدا ... ميارة بذاك يدعى أبدا
الفاسي أصلا منشأ وسكنى ... ويرتجي الختم بها بالحسنى
وبعد هذا مكمل للمنهج ... إلى أصول المذهب المبتهج
نظم الإمام العالم الزقاق ... إمام ذي الفقه بلا شقاق
ذكرت فيه بعض ما قد أغفلا ... من أسس وما عليه يتلى
وزدته من خالص الفقه جمل ... كلية نافعة فلا تمل
معتمدا في الجل توضيح خليل ... وشرح منهاج لعالم جليل
شيخ الشيوخ العالم المشهور ... ذاك الذي يعرف بالمنجور
أثرت فيه الميل للنسيان ... ليظفر الحافظ بالمعان
مغلبا تحسين معناه على ... تحسين لفظه رجا أن يعقلا
وبعد أن يكمل إن شا ربنا ... أتبعه شرحا ليكمل المنا
سميته بستان فكر المهج ... ذيلا وتكميلا لذاك المنهج
والنفع دائما به أسأل من ... كريم بالإجابة قمن
وأسأل الناظر أن يسمح لي ... فيما يرى من خطأ أو زلل
لقولهم قبول عذر المعتذر ... شأن كرام الناس فاقفهم وسر

وعند الفراغ من الأبيات قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وما قصدت جمعه هنا كمل ... والحمد لله على نيل الأمل

ثم الصلاة والسلام في الختام ... على النبي والآل والصحب الكرام

في عام تسع بعد خمسين انتهى ... من بعد الألف وازدلافه دهى

8 ـ الروض المبهج في شرح تكميل المنهج:

لما انتهى رَحِمَهُ ٱللَّهُ من النظم السابق الذكر، قام بتقييد شرح عليه كما وعد بذلك خلال النظم، وهو شرح مهم عظيم الفائدة، جمع فيه من النوازل والفتاوى وأقوال العلماء وهو مطبوع بالطبعة الحجرية بهامش شرح العالم العلامة، أبي العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن المنجور للمنهج المنتخب.

9 ـ كراسة في أحكام الإمامة العظمى:

من مؤلفات ميارة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كراسة في أحكام الإمامة العظمى من كلام الناس ونقول العلماء، ولقد نبه عليها بنفسه خلال شرحه للامية الزقاق، وذلك عند شرحه للخطط الست التي أشار إليها الناظم بقوله:

لها خطط ست قضاء مظالم ....

قال: «وقد طال بنا الكلام في هذا المحل بسبب مسيس الحاجة إلى الكلام على الخطط المذكورة في بيت الناظم، ثم انجر منها إلى الكلام على الإمامة العظمى، وتكلفنا ذلك لغرابة الكلام على هذه الخطط في كتب الفقه، فقصدت إراحة الناظر في هذا المحل عن البحث عنها في غيره، لاشتماله على جملة صالحة من أحكامها، وقد كنت قبل هذا الوقت بسنين حين قام أهل فاس على بعض متأخري ملوكها حين كثر ظلمه للرعية، وضعفت شوكته عن الدب عنهم، جمعت كراسة في أحكام الإمامة العظمى من كلام

الناس، ونقول العلماء من الفقهاء، وأهل علم الكلام والحديث، وقد لخصت لبها في هذا المحل نفع الله الجميع بمنه وكرمه» اهـ.

إلا أنني لم أعثر على أثر لهذه الكراسة في فهارس الخزانات العامة، ولعلها مفقودة، والله تعالى أعلم.

10 ـ فتح العليم الخلاق في شرح لامية الزقاق:

ألف محمد بن أحمد ميارة كتابه هذا سنة 1065هـ، وهو أول شرح للامية الزقاق باتفاق، وقد قمت بتحقيقه وجعلته موضوعا للأطروحة التي نلت بها شهادة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية، و قد تم طبعه بدار الرشاد الحديثة بالبيضاء سنة 1429هـ/ 2008م.

11 ـ اختصار كتاب اللفيف:

عندما كان ميارة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بصدد شرح اللامية، ووصل إلى ما يتعلق بشهادة اللفيف، اعتمد في ذلك على كتاب اللفيف للعلامة محمد العربي بن أبي المحاسن يوسف الفاسي، واختصره هناك، حيث اقتصر منه على ما يراه مهما فقال في ذلك:

«انتهى كلام سيدي العربي الفاسي المذكور باختصار، مقتصرا على ما تدعو الضرورة إليه، فلذلك وقع اختصار التأليف المذكور في خمسة أوراق من ثلاثة كراريس التي هي جملته»[1].

12 ـ تحفة الأصحاب والرفقة ببعض مسائل بيع الصفقة:

بعدما فرغ ميارة رَحِمَهُ ٱللَّهُ من شرحه للامية الزقاق، قام بتأليف هذا الكتاب، وذلك سنة 1066هـ، وذلك إنفاذا للوعد الذي سبق أن وعده في شرحه للامية الزقاق حيث

(1) فتح العليم الخلاق (293).

قال: «وبعد الفراغ من هذه المسائل، أذكر ما وقفت عليه الآن من مسائل بيع الصفقة إن شاء الله، وهو مما ينبغي الاعتناء به لتشعبه»(1).

كما أكد ذلك أول هذا التأليف حيث قال: «وقد كنت قبل هذا الوقت وعدت بتقييد ما حضرني من فروع بيع الصفقة أثناء هذا الشرح فلم يتيسر لي ذلك»(2).

ولقد تم تحقيق هذا المؤلف وطبع ونشر(3).

13 ـ الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكـــام .(حوالي: 1070)

يعد كتاب الإتقان هذا، ثالث شرح لتحفة الحكام لابن عاصم، وذلك بعد شرح ولد الناظم: محمد بن محمد بن عاصم القيسي الغرناطي، وبعد شرح أبي العباس أحمد ابن محمد اليزناسني نسبا واشتهارا، كما أشار ميارة إلى أن بعض أئمة المالكية من أهل المحلة بمصر قد شرحه، إلا أنه لم يصل إليهم نظرا لقلة التواصل في ذلك الوقت، وبالتالي جاء شرحه هذا كتتمة للشرحين السابقين ومحصلا لهما، مطرزا ذلك بعدد من الفوائد، ومجموعة من القواعد والتنبيهات والتحقيقات.

14 ـ فهرسة ميـــارة(4):

وهي فهرسة صغيرة في حجمها لا تتعدى العشرين صفحة، اقتصر فيها على ذكر أسانيده في رواية صحيح البخاري، وترجم فيها لشيوخه الستة الذين أخذ عنهم

(1) فتح العليم الخلاق (452).

(2) تحفة الأصحاب والرفقة (404) . بذيل شرح اللامية، طح .

(3) تحفة الأصحاب والرفقة ببعض مسائل بيع الصفقة، تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد ميارة، تحقيق: عبدالسلام حادوش: الرئيس الأول لمحكمة الاستئناف بطنجة، مطبعة الصومعة، الرباط، دجنبر 1995م .

(4) وهو مخطوط خ ع ر، تحت رقم 931 ك، و مخطوط: خ م، تحت رقم: 855، والمكتبة العامة بتطوان (144). المصادر العربية لتاريخ المغرب (1/ 150) .



الصحيح المذكور، وكذلك جميع مقروءاته عليهم، إلا أن الملاحظ، أن هذه الفهرسة لم تأت مستقلة وحدها كما هو الشأن في عامة الفهارس، كما أنها لم تأت بناء على استدعاء أو طلب إجازة كما جرت العادة في ذلك، بل جاءت مقرونة بأحد مؤلفاته، تمثل فصلا من فصوله، وهو كتاب (نظم اللآلئ والدرر في اختصار مقدمة ابن حجر)[1].

15 ـ نظم اللآلئ والدرر في اختصار مقدمة ابن حجر:

ألف أبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة هذا المؤلف الضخم، وصدره كما سبقت الإشارة إلى ذلك بفهرسة للشيوخ الذين أخذ عنهم صحيح الإمام البخاري، ووصل أسانيدهم بأشياخهم السابقين، وبعد ذلك شرح مقدمة الحافظ بن حجر، وهو مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم: 931 ك.

16 ـ معين القاري لصحيح البخاري:

لما فرغ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من تأليف الاختصار الآنف الذكر، طعمه وألحق به زوائد أخرى سماها: معين القاري لصحيح البخاري [2]، وذلك كما فعل في كتابه فتح العليم الخلاق حين أردفه بكتاب تحفة الأصحاب والرفقة.

17 ـ إلتقاط الدرر مما كتب على المختصر:

نسب الأستاذ: عبد العزيز بن عبد الله في كتابه معلمة الفقه المالكي هذا المؤلف أحيانا إلى ميارة الأكبر [3]، وأحيانا إلى ميارة الحفيد [4]، ولكنني بعد البحث والتتبع لهذا

---

(1) لمن أراد المزيد من المعلومات حول هذه الفهرسة، فليراجع: فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية ق 12، للأستاذ: عبد الله المرابط الترغي، الطبعة الأولى: 1420 هـ.

(2) يراجع: شرح جعفر بن ادريس الكتاني على خطبة ميارة للمرشد المعين(33).

(3) معلمة الفقه المالكي (143).

(4) معلمة الفقه المالكي (178). راجع السلوة (1/ 176)

الكتاب اتضح لي أنه من مؤلفات أبي عبد الله محمد بن أحمد ميارة الجد، إلا أنه عاجلته المنية قبل أن يكمله، فجاء حفيده من بعده، فأكمله وأخرجه، ونسبه إلى جده وذكر أنه ليس له من هذا الكتاب إلا الترتيب والإخراج، فقد قال في ذلك بعد البسملة والحمد والثناء على الله عز وجل: «فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى، المتبريء من حوله وقوته حالا ومآلا، محمد بن محمد بن محمد ميارة، طهر الله قلبه بنور معرفته وأناره، لما لحظتني من العناية، وقادني وأيد التوفيق والهداية، إلى الدخول في زمرة المتعلمين وحضور مجالس المعلمين بمساعدة الجَد لا بمكابدة الجِد، فحصل لي بحمد الله في فروع الفقه استبصار، ولم يكن لي عليها دون غيرها اقتصار، وكانت من جملة الأسباب المعينة على ذلك، الميسرة في تلك المسالك، مطالعة ما كتبه جدي الإمام، علم العلماء الأعلام، حامل راية المذهب المالكي بيمينه، الملجأ عند نزول النوازل المشكلات في حينه، سيدي أبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعنا به، ووصل سببنا بأسبابه على نسخته من مختصر الشيخ خليل بخط يده الجليل، من الدرر الثمينة، والطرر التي على فهم ألفاظه معينة، جمعها من شراحه وحواشيه العجيبة، وحشر فيها من الفوائد كل غريبة، واشتهر عند طلبة هذا العصر، أنه لم يكتب أحد مثلها في هذا المصر، فطلب مني جماعة.... أن أرتبها ترتيب تأليف، لتسهل مطالعتها وتتيسر مراجعتها، ويكون ذلك أبعد لها من الضياع وأقرب للانتفاع، فاستحسنت مقالهم ولبيت سؤالهم.... فجمعتها مرتبة أحسن ترتيب، كما هذبها الجد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحسن تهذيب، ولذلك لم أعدل عن لفظه ولو كلمة، ولا أسقطت من يانع أغصانه أبلمة، ولم أزد فيها من غير ما كتبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حرفا، فليثق الناظر بأنها مجموعة من كلامه صرفا، ليكون على بصيرة فيما ينقله، والله رقيب على عبده فيما يقوله ويفعله، ... وسميتها: التقاط الدرر مما كتب على المختصر، والله على ما نقول وكيل وبالإعانة لمن التجأ إليه كفيل»[1].

(1) التقاط الدرر لميارة (1)، مخ: 456، خ ق ف، ميكروفيلم (293).

وتوجد منه نسخة في الخزانة الملكية تحت رقم: 5894 .

18 ـ **تقييد من شرح سيدي الحسن بن محمد الدرعي على لامية ابن المجراد السلوي** منسوب لميارة، ولقد عثرت عليه مخطوطا [1] بالخزانة العامة بالرباط، في حوالي عشرين صفحة ([2])، وأوله:

«قال الشيخ الإمام العلامة الدراكة الفهامة، أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد ميارة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى ورضي عنه وأرضاه آمين:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيئين، وإمام المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، قصدت بهذه الأوراق تقييد ما لا بد منه من شرح شيخ شيوخنا الإمام العالم الأستاذ سيدي الحسن بن محمد الدرعي الشهير بالدراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى ونفع به،على لامية الأستاذ أبي عبد الله محمد بن محمد الفتراري الشهير بابن المجراد السلوي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، في أحكام الجمل والظروف والمجرورات وما يتعلق بكلام الناظم وحل ألفاظه، وإعراب ما لا بد منه، نفع الله به وبأصله وفضله...»[3].

19ـ ولميارة **تلخيص كتاب الأنيس المطرب**، لأبي العباس أحمد بن أبي زرع، ذكره له، عبد السلام بن سودة في دليل مؤرخ المغرب الأقصى[4].

(1) موجود في ثلاث نسخ، تحت رقم: 2674 د، من الصفحة 223 إلى 252 .
وتحت رقم: 2878 د، من الصفحة 344 إلى آخر المجموع .
وتحت رقم: 2059 د، من الصفحة: 138 إلى 164 .

(2) لقد أشار إلى هذه الحاشية كذلك الأستاذ محمد حجي في الحركة الفكرية (1/ 150)، ضمن شروح لامية الجمل، وهو مخطوط الخزانة الملكية، تحت رقم: 4482 ـ 6041 ـ 6523 .

(3) الصفحة: 223، مخطوط رقم: 2674 د، خ ع ر .

(4) دليل مؤرخ المغرب الأقصى (1/ 128) .

ـ أما الأنظام التي نظمها ميارة فهي جد متعددة، ولا تكاد تحصى كثرة، فبدء من الوفيات، إلى مواضيح المختصر، إلى الأحكام الفقهية، فكلما تنقلت في أحد كتبه إلا ووجدته يقول: ولقد نظمت في هذه المسألة أبياتا. أو نظمت في هذه الفذلكة، وما شابه هذه الألفاظ، ونظرا لكثرتها فإنه يصعب استقصاؤها وجمعها، بالإضافة إلى أن كل طائفة من الأبيات يتحدث عن موضوع معين، حسب المكان التي وردت فيه ومثاله قوله في شرح التحفة أبياتا في الطلاق وأنواعه:

من الطلاق سني وبدعي ... والكل إما بائن أو رجعي
سنيه في حال طهر واحدة من ... غير مس وارتداف زائدة [1]

ـ ولميارة فتاوى متعددة، منها ما هو مدرج في مؤلفاته، ومنها فتاوى جاءت متفرقة في مؤلفات الذين أتوا بعده ممن نقلوا عنه، كسيدي المهدي الوزاني، والعلمي، وغيرهم.

(1) الإتقان والإحكام شرح تحفة الحكام: (1/ 219).
له أبيات في نفس الكتاب المذكور في: (1/ 71، 88، 161، 252، 319)، وغيرها.

✓ المحور الرابع: صفاته وآراء العلماء فيه

لقد أشاد كافة المترجمين لميارة، ممن عاصروه من الشيوخ والزملاء والتلاميذ وغيرهم من المتأخرين، برحابة صدره، وبحسن أخلاقه، وفضائل شيمه، من التواضع والصبر والأناة، والحلم والاحتمال، والسمت الحسن، واشتغاله بما يعنيه، ولما لم يسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الانتقاد قسمت هذا المحور إلى فرعين:

الفرع الأول: ثناء العلماء عليه

لقد أثنى على أبي عبد الله محمد بن أحمد ميارة غير واحد من الفقهاء والعلماء، سواء منهم من عاصروه، أو من الذين أتوا بعده، واستفادوا من مؤلفاته، وهذه نماذج منها:

وأولها تقريظ لمحمد بن عبد الله العوفي أحد علماء القرويين الأدباء، مؤيدا زميله ميارة تأييدا مطلقا، وحاملا بعنف على عالم آخر لم يذكر اسمه، يبدو أنه كان المحرض على مضايقة ميارة، مما دفعه لتأليف كتاب نصيحة المغترين وهو كالتالي:

يقول عبد الله سبحانه محمد بن عبد الله العوفي وفقه الله لطاعته ومرضاته: الحمد لله الذي جعل العلماء مصابيح يهتدى بهم في الظلمات، وسلاً بهم قلوب المؤمنين إن حلت بهم الحسرات، واقتداء بمولانا محمد ﷺ فيما ينزل به من النازلات، وما ذلك إلا لتكفير ذنوبهم، ولرفعه لهم الدرجات، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد فيما مضى وفي ما هو آت، وعلى آله وأصحابه المهتدين بهديه في جميع الحالات:

هذا وإن العالم النحرير، ذا القدر الرفيع الخطير، أبا عبد الله محمد بن أحمد بن محمد ميارة، زكى الله قلبه بالتقوى وأناره، سئل عن مسألة في الوقت، وكان من غيره أولى بالسؤال لتضلعه بعلوم الشريعة، وما انبنت عليه من أقوال وأفعال، فانتدب لذلك وأجاب، وتحرى فيها غاية الصواب، وألف فيها تأليفا ما ألفه غيره، ظهرت فيه مزيته وقدره، وقرب فيه البيان غاية التقريب، وهذبه تهذيبا فاق فيه التهذيب، لجلبه الآيات

القرآنية ومعانيها، والأحاديث النبوية ومبانيها، فكان من أجل المصنفات قدرا، جزاه الله عن المسلمين خيرا، فلم يبقَ في إيضاح المسألة شك ولا ريب، إلا من طمست بصيرته بران أو عيب، قد تنكر العين ضوء التمس من رمد، وينكر الفم طعم الماء من سقم، ثم لما شاع بين العقلاء كلامه، واستفاض بينهم قدره ومرامه، وتلقاه الناس بالقبول، وأنزلوه محل الإكرام من محل النزول، سمع بذلك جاهل حسود، فبيس الحاسد ونعم المحسود، وقد قيل أن الحسود لا يسود، وكأنه عفا الله عنا وعنه شِرقَ بِرِيقِه، حسدا من خبث صدره وضيقه، وما مراده إلا التعنت بالباطل، الذي ليس تحته من طائل، وأداه الأمر إلى طعن في الشيء الحسن، حتى جزع وسب ولعن، حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق، وما ذلك إلا لما طلع على قلبه من الران، إذ الجهل أقبح شيء بالإنسان، حتى إنه يشارك في معناه الحيوان، ولا دواء له إلا ما قال أحسن القائلين: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾، ولولا ما أوجبه الله تعالى من عدم الكتم ما أجاب، لقلبة أمور في زماننا هذا حتى صار العلم في نكس رأس وانقلاب، فأدى الرجل ما لديه مما أوجبه الله تعالى عليه .... ورزقه الله التوفيق»[1].

ـ ومنها تقريظ لمحمد الطيب الدلائي على نفس الكتاب، وذلك بعد رد فعل عنيف للأرستقراطية الفاسية على الموقف السياسي للدلائيين حكام فاس آنذاك، الذين أبدوا تعاطفا ومناصرة مع الإسلاميين، أو ما أسموا بالبلديين[2] أو المهاجرين من جهة، وللتأييد الديني لمحمد ميارة من جهة ثانية، حتى أدى بهم الحال إلى أن أغروا به السفهاء بالطواف في الأسواق بكتاب نصيحة المغترين، ساخرين من مؤلفه، ومشهرين بأصله اليهودي، حتى اضطر ميارة إلى أن يكتب للسلطان محمد الحاج الدلائي ليكف عنه الرعاع، فأجاب محمد الطيب الدلائي عن إذن عمه السلطان محمد الحاج برسالتين

---

(1) نصيحة المغترين (102 ـ 103).

(2) سمي بها حديثوا العهد بالإسلام .

بعث بها إلى فاس مشيدا بالكتاب ومؤلفه، وجه الأولى إلى ميارة نفسه، والثانية إلى العالمين الشريفين محمد الصقلي ومحمد العمراني ويهيب بهما أن يناصرا ميارة بين خاصة أهل فاس وعامتهم، وفيها يقول:

«.... وإعلامكم بأن تأليف العالم الأشهر، القدوة الذي به يفتخر، الذي تغني شهرته عن وصف، وظاهر فضله يغني عن كشف، سيدي محمد ميارة، هو تأليف قد ضرب في الإبداع بسهم مصيب، وفي أنواع المحاسن حاز أوفر نصيب، وفيه من أقاويل العلماء ما يرفع الالتباس، ويزجر الأخرق المتغالي من الناس، ليس فيه إلا ما استند لكتاب أو سنة، مما شرعه ﷺ أو سنه ...»[1].

كما أثنى عليه زميله الأستاذ أبو العباس أحمد بن علي السوسي البوسعيدي، وذلك فيما كتبه له على الدر الثمين، حيث قال:

«نظرت هذا المجلد المسمى بالدر الثمين الموافق اسمه لما وضع له من المعنى الأتم المكين، لما فيه من المحاسن وجمع النظائر، ونظم قلائد الفرائد، والنقول المنسوبة المسرودة الفوائد، الكثيرة المسائل المشحونة الوسائل، جعل الله نية مؤلفه خالصة لوجهه الكريم، وجعل فيه خدمته لمقام ألوهيته العظيم، فماذا عسى أن أقول فيه، غير أني محتاج إلى كثير مما فيه لأجل ما دون فيه من المسائل الدينية، والفروع الكثيرة الفقهية، ولأني لا أصل إلى تلك الدواوين، ولا رأيت الكثير منها، فلله دره، فلو أدركه شيخنا صاحب الأصل لسر به، لأنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان مهتما به ...... ولم أر فيه من آراء الشارح حفظه الله شيئا حتى يتكلم معه، وإنما هي نقول الأئمة، وهو في ذلك موكول لأمانته...»[2].

---

(1) نصيحة المغترين (126 ـ 128). الحركة الفكرية في عهد السعديين (1/ 178).

(2) الدر الثمين (341 ـ 342).

ومن ذلك ما قال فيه حفيده، أبو عبد الله محمد بن محمد ميارة: «وكانت من الأسباب المعينة على ذلك، مطالعة ما كتبه جدي الإمام، علم العلماء الأعلام، حامل راية المذهب المالكي بيمينه سيدي أبو عبد الله ...» [1].

ومنه كذلك ما ذكره سيدي جعفر بن ادريس الكتاني في شرحه لخطبة ميارة على المرشد المعين حيث قال:

«كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ واسع العلم فصيح القلم، ذا بيان، كريم الأخلاق، حلو المنظر بعيدا من التصنع والرياء، متفننا في علم الأحكام، مستحضرا للنقول الغريبة، ذاكرا للنوازل البعيدة والقريبة، حتى إنه كان يكنى بالإمام مالك الأصغر، كثير الاعتناء بالمطالعة والتقييد، لا تكاد تراه في أوقات الدرس إلا مطالعا أو مقيدا ...» [2].

ومن ذلك أيضا قول صاحب السلوة: «ومنهم الشيخ الصالح الفقيه، العالم العلامة النبيه، حامل لواء المذهب، وباني النوازل الأشهب، ذو المآثر الأثيلة، والشمائل الحميدة الأصيلة، من قصر عن كنه ثنائه المنظوم والمفهوم، وأحجم عن شأو علاه المنثور المنظوم، الإمام البركة الأكبر، والقدوة النفاعة الأشهر، مالك زمانه، فريد عصره وأوانه، أبو عبد الله سيدي محمد فتحا ابن أحمد بن محمد المدعو ميارة .... كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أوعية العلم المتفننين في علم النوازل والأحكام، القائمين عليها قيام إتقان وإحكام، مستحضرا للنقول الغريبة، ذاكرا للنوازل البعيدة والقريبة، شيخ المذهب في وقته، وحامل لوائه في عصره، مختصا بالإتقان وحسن التصريف، منفردا عن أهل عصره بجودة التصنيف، مع سلاسة العبارة، وجودة الإشارة، والاعتناء بالمطالعة والتقييد، والباع الطويل المديد، مشاركا محققا حافظا متقنا، محصلا واسع العلم فصيح القلم،

(1) التقاط الدرر مما كتب على المختصر (1) .

(2) شرح جعفر بن ادريس الكتاني (32)، طح .

كريم الأخلاق، حلو المنظر، بعيدا عن التصنع والرياء ...... أخذ عنه جم غفير، وعالم كثير، وأذعن له مصنفو أهل عصره، ولهج به كثير من أهل مصره، وأقبل الناس على تآليفه من فاضل ومفضول، وتلقوا تقريراته كلها بالقبول، وعم نفعها البلاد، وشاع فضلها بين العباد، ..... وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ حريصا على العلم وتحصيله، ونشره للناس وتفصيله، ....»[1].

ولقد قال فيه الأستاذ عبد الله كنون رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكان راسخ القدم في الأحكام، مستحضرا للنقول، ذاكرا للنوازل، عمدة في ذلك، ولا تزال كتبه من أهم المراجع الفقهية وكتب الدراسة المختارة في هذا الباب ..»[2].

وقال فيه ليفي بروفنسال: «كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أكابر العلماء، وأساطين الفقهاء، كرس حياته للتدريس والتأليف، وكتبه متداولة عليها إقبال عظيم في حلقات العلم..»[3].

ومن ثناء محمد المرابط الدلائي عليه مما كتبه على المرشد المعين، ست أبيات يشيد فيها بالشرح وشارحه وهي كالآتي:

يا واحدا في دوحة المجد	والمستضيء بطالع السعد
إن الأفاضل في الورى نُظموا	عقدا وأنت يتيمة العقد
وافيت بالعذب المعين له	لولاك أرداهم من الوتد
شرحا جلا خود الفرائد من	لفظ حلا أشهى من الشهد
فالبدر يحكيه سنى وعلا	في أفقه والوشي في البرد

---

(1) سلوة الأنفاس (1/ 166).

(2) النبوغ المغربي (249).

(3) مؤرخوا الشرفاء (182).

أهـديت جيـدا قـد غـدا عطـلا   درر البهـا فجزيـت مـن مهـد [1]

الفرع الثاني: خصومه و معارضوه

كغيره من جهابذة العلماء، والناصحين الوجهاء، ورغم ما وصف به من علم وصلاح، لم يخل محمد ميارة من معارضين وخصوم، فقد ناله أذى من طلبة وقته، ونسبوه لعدم الثقة في النقل حسدا، لكنه أعرض عنهم، وأقبل على شأنه[2].

وفي ذلك يقول سيدي محمد بن عبد الواحد العوفي: «ثم لما شاع بين العقلاء كلامه واستفاض بينهم قدره ومرامه، وتلقاه الناس بالقبول، وأنزلوه محل الإكرام من محل النزول، سمع بذلك جاهل حسود، فبيس الحاسد ونعم المحسود، وقد قيل أن الحسود لا يسود، وكأنه عفا الله عنا وعنه شرق بريقه، حسدا من خبث صدره وضيقه وما مراده إلا التعنت بالباطل، الذي ليس تحته من طائل، وأداه الأمر إلى طعن في الشيء الحسن، حتى جزع وسب ولعن، حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ..» [3].

ومن هؤلاء كذلك بعض الطبقات الأرستقراطية الفاسية، التي ردت بعنف على ميارة بسبب تأليفه لكتاب نصيحة المغترين، وأدى بهم الحال إلى أن أغروا السفهاء بالطواف في الأسواق بالكتاب المذكور، ساخرين منه ومن مؤلفه، ومشهرين بأصله اليهودي، حتى اضطر ميارة إلى أن يكتب للسلطان محمد الحاج الدلائي ليكف عنه أيدي الرعاع[4].

---

(1) نشر المثاني (2/ 121). وهنا قال: «وممن أثنوا عليه: أحمد بن علي السوسي، وأبي العباس الأبار، وأبي حامد محمد العربي الفاسي» .

(2) شرح جعفر بن ادريس الكتاني على خطبة ميارة للمرشد المعين (33) .

(3) نصيحة المغترين (102)، مخ: 1849 خ ق ف .

(4) الحركة الفكرية في عهد السعديين (1/ 178) .

وأما معارضوه ممن جاؤوا بعده، فمنهم:

ـ أبو عبد الله محمد بن الشيخ عبد القادر الفاسي الفهري الذي رد على ميارة في كتابه نصيحة المغترين[1].

ـ ومنهم: أبو القاسم الزياني، الذي رد عليه على نفس المؤلف المذكور، حيث ألف كتابا سماه: قصة المهاجرين المعروفين بالبلديين بفاس.

(1) دليل مؤرخ المغرب الأقصى (1/ 80).

✓ المحور الخامس: وفاته وما قيل في رثائه

بعد عمر حافل بالتعلم والتعليم، والدرس والتدريس، والجمع والتأليف، توفي محمد ميارة ملبيا داعي ربه، وذلك ضحى يوم الثلاثاء، ثالث جمادى الثانية، سنة اثنين وسبعين وألف، ودفن بداره بأقصى درب الطويل [1] من عدوة فاس القرويين، صارت بعده روضة معدة لدفن الأموات، وتأنق بعض قرابته في بنائها، وأضيف إليها ساحات حتى أصبحت مقبرة كبيرة، وقبره بها معروف يزار، وعليه (دربوز) قبة وكسوة، وعند رأسه رخامة مكتوب عليها: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام، هذا ضريح الشيخ الإمام، العالم العلامة الهمام، الخير البركة، المتوسل به إلى الله في السكون والحركة، صاحب التواليف المفيدة، والفتاوى العديدة، الزاهد العابد الناسك، آخر من حمل لواء مذهب مالك، أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد ميارة، ولد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليلة النصف من رمضان المعظم عام تسع وتسعين وتسع مائة، وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ ضحوة يوم الثلاثاء، الثالث من جمادى الثانية، سنة اثنين وسبعين وألف، نفعنا الله والمسلمين ببركاته آمين) [2].

وفي تأريخ وفاته نظما يقول الأديب البارع، أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن الشيخ العلامة عبد القادر الفاسي رَحِمَهُ اللَّهُ، عند ذكر وفيات بعض الشيوخ مشيرا إليه بلفظ: شعب، وهي اثنين وسبعين وألف بحساب الجمل:

وفي شعب الإسلام محمد ميارة انتهى   فأفضى إلى خلق من الدين مجمل [3]

---

(1) درب الطويل: يقع في رحبة القيس أمام رياض جحا من عدوة فاس القرويين، وأقصاه المعبر عنه هنا، هو آخر الدرب، وذلك عن يمين الخارج منه إلى زنقة شوارة، أمام دار الدبغ بالبليدة في الطريق المؤدية لضريح مولاي أحمد الصقلي.

(2) شرح جعفر بن ادريس الكتاني على خطبة ميارة للمرشد (34)، سلوة الأنفاس (1/ 165).

(3) **الصفحة** (226)، من المجموع رقم: 2795 د، خ ع ر.

ومما قيل في رثائه [1]:

يـــرحم الله عـــالم العلـــماء وإمـــام الزمـــان دون مـــراء

مـــن لـــه في العلـــوم بـــاع طويـــل وهـــو في الفقـــه أفقـــه الفقهـــاء

نجـــل ميـــارة الإمـــام المرقـــى في المعـــالي إلى عنـــان الـــسماء

كـــان خـــير زمانـــه في صـــلاح وتقـــى وســـكينة واهتـــداء

ومن أراد التوسع والاطلاع أكثر فليراجع تحقيق كتاب فتح العليم الخلاق ففي قسم الدراسة ما يغني ويشفي، فقد جمعت جملة صالحة هناك، وأتمنى أن أكون قد أوفيت هذا العالم الجليل حقه، وقدمته للقاري بما يليق به، وأسأل الله النفع بما سطرت وأستغفر الله لي ولسائر المسلمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(1) شرح جعفر بن ادريس الكتاني على خطبة ميارة على المرشد (34) .